

الشك وأنواعه

الشك هو حالة من عدم الإيمان، أو عدم التصديق. أو هو تأرجح للفكر بين حالتين: أيهما يصدق؟!

والشك هو جحيم للفكر وللقلب معًا.

قد يكون دخوله سهلاً. ولكن خروجه من الفكر صعب جداً، وربما يترك أثراً مخفياً لا يثبت أن يظهر بعد حين!

والشك يجعل الإنسان يفقد سلامه ويفقد طمأنينته...

وإذا استمر الشك ما أسهل أن يتحول إلى مرض وإلى عُقد لها نتائجها.

وهذا الشك قد يتلف الأعصاب، ويدعو إلى الحيرة وإلى كثرة التفكير، ويمنع النوم. وأحياناً يكون من نتائجه التردد والخجل، وعدم القدرة على البتّ في الأمور..

هناك أنواع الشك:

منها الشك في الله ووجوده، والشك في بعض أمور الدين والعقيدة. والشك في إخلاص الأصدقاء، وفي الناس عموماً. بل الشك في النفس أيضاً! والبعض قد يشك في الفضائل ولزومها، وفي إمكانية التوبة أو في قبولها. والشك في بعض طرق الحياة..

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط واحدة فواحدة، ونبحث ما هو كنهها ومصادرها..؟

الشك في الله:

* كأن يشك الإنسان في وجود الله. والشك في وجود الله يُسمى (الإلحاد).

وهو دخیل علی الإنسان، لأن الطفل الطبيعي یولد مؤمناً. بدلیل أننا عندما نعلم الطفل الصلاة، لا یسأل من هو الله الذي نصلی إلیه؟ ولا کیف نخاطبه ونحن لا نراه. بل یقبل كل ذلك فی هدوء وتسلیم...

علی أن الشك فی وجود الله قد یكون حرباً من الشیطان فی سن معینة. أو یكون سببه قراءة كتب تحوی أفكار الملحدین أو معاشره هؤلاء والتأثر بهم. أو یكون السبب هو المناقشة فی أمور هی أعلى من مستوى الشخص وتفكيره، أو قراءة بحوث منحرفة فی الفلسفة أو فی بعض العلوم أو فی تاریخ الكون ونشأته. أو قد یتیر هذا الفكر أشخاص یریدون الشهرة عن طریق مبدأ (خالف تعرف)!!

* وربما لا یكون الشك هو فی وجود الله، إنما فی مدى معونته للبشر!!

قال بهذا اولئك الذي نادوا بأن الله هو فی برج عاجی بعيداً عن البشر لا یهمه ضیقاتهم واحتیاجاتهم! فكیف یترك البعض یعیشون فی فقر مدقع، بینما هناك أغنیاء من أصحاب الملایین والقصور؟! وطبعاً هذا الفارق الإجماعی والاقتصادی لیس سببه الله، إنما له أسباب أخرى، والرب یساعد الفقراء بطرق كثيرة.

وربما البعض یقع فی مثل هذا الشك بصورة أقل، بسبب شعوره أن الله لم یتجب صلاته وهو فی حالة ضیقة وتعب! فیشك فی مدى معونة الله للبشر، ویشك فی جدوی الصلاة..

* علی أن الشك فی الله، قد یكون مجرد غطاء للاستمرار فی الخطیة!!

وقع فی ذلك الوجودیون الذين یرون وصایا الله عن البر وحب العفة والنقاوة، إنما تعوق حریتهم فی ممارسة خطایاهم! وكأن شعور الواحد منهم هو: "من الخیر أن الله لا یوجد، لكي أوجد أنا!!" أي لكي یوجد حراً فی ممارساته بعيداً عن وصایا الله!!

أما شك الإنسان فی عقیدته، فیاتی نتیجة قراءات أو سماعات ضدها..

وعلیه أن یأخذ كل ذلك بعقل وتدقیق. ولا یصدق كل ما یقرأ أو یسمع. بل یسأل الحكماء والعارفین، حتی یعطوه جواباً عن كل ما دخل ذهنه من الشك...

شك الشخص في بعض أصدقائه أو أهل بيته:

* يأتي ذلك بسبب قلة المحبة أو قلة الثقة. فإن الإنسان إذا أحب شخصاً محبة حقيقية، فإنه يثق به، وبالتالي لا يشك...

ولكن قد يقول شخص "أنا أحب فلاناً من كل قلبي، ولكني لست أضمن محبته هو!!". وهنا قد يشك في مدى إخلاصه، وبخاصة إذا وجدت هناك أسباب تدعو إلى ذلك...

وعلاج ذلك هو العتاب، بجو من الصراحة وفي محبة ولياقة... وكذلك عدم التأثر بالسماعات والوشايات، وعدم تصديق كل ما يقال. فلا يجوز أن يحكم على أحد حكماً سريعاً بدون الاستماع إليه...

* أما شك الشخص في زوجته، أو شك الزوجة في رجلها: فعلاجه ثقة متبادلة بين الزوجين مبنية علاقتهما الشخصية التي عمادها الحب العميق مع عدم إساءة الظن في أية حركة بريئة ليست وراءها نية سيئة..

* هناك شك آخر في الناس كلهم سببه خطأ فردي وتطبيقه على الجميع!

مثل سقطة فرد في أسرة توجب الشك في كل الأسرة بينما يكون بعض أفرادها صالحين جداً، بل يتمادى الشك حتى يشمل شعباً بأكمله سبب أخطاء أفراد منه!

الشك في بعض الفضائل:

كأن يقول البعض ما فائدة الصوم؟ وهل الفضيلة الجسدية لها قيمة في ذاتها؟! أو أن يشك البعض في لزوم الصلاة! ويقولون ما فائدة الصلاة، مادام الله يهتم بنا دون أن نصلي؟!!

أو قد يشك البعض في المبادئ والقيم، وفي ما هو الحلال؟ وما هو الحرام؟ أو يشك في بعض المخترعات الحديثة كالموسيقى والراديو والتلفزيون والسينما: وهل هي حرام أم حلال؟ أو في مسائل طبية مثل تحديد النسل!

الشك في النفس:

قد يشك الإنسان في ثقته بالنفس، وفي مدى قدراته وإمكانياته! وإحتمال نشك! كفضل طالب في قدرته على النجاح، وفي كفاية الوقت له! أو يشك شخص في تصرفاته: وهل هي سليمة أم خاطئة؟ وعن علاقته بالناس: وهل هو محبوب أم مكروه؟ أم لا يشعرون بوجوده؟!

الطفل قد يحدث له هذا. من أجل ذلك يحتاج إلى المديح والتشجيع لكي يكتسب ثقة بنفسه. أما التربية القاسية وكثرة اللوم والتوبيخ، فقد تسبب له عقدة الشك في النفس. حتى الكبار أيضًا يحتاجون إلى التشجيع وإلى كلمة طيبة، وإلى رفع روحهم المعنوية، وبخاصة لو كانوا في مرض أو في ضيقة أو في مشكلة، حتى لا يدركهم اليأس، وحتى لا يقول الواحد منهم: قد ضعت!

والإنسان قد يشك في الطريق الذي يختاره في حياته، وما يناسبه وما يصلح له؟! وبخاصة في المراحل المصيرية في حياته، التي يدركه فيها التردد، ويكون الطريق غير واضح أمامه!